<u>المحاضرة العاشرة: تتمة جماعة الديوان</u>

<u>الاتجاه الخامس : الاتجاه الواقعي</u>

يمثل هذا الاتجاه أحد الاتجاهات الرئيسة في شعر جماعة الديوان وأعظمه ويتجلى بديوان **عابر سبيل** للعقاد الذي يكاد ينفرد به من دون صاحبيه، فقد استطاع العقاد أن يتخفف في هذا الاتجاه من سيطرة الرومانسية الحالمة التي طبع عليها تيار الجماعة ،إذ يتخذ من الموضوعات اليومية ميدانا لتجربته الشخصية إلا أنها تضفي على قصائده شيئا من الجفاف، ولكنها في الوقت نفسه تؤكد قدرة الشاعر على رصد أحداث الحياة اليومية، وتؤكد دقة ملاحظته لحركة المجتمع ،كما أنه يفيض على موضوعاته اليومية من تأملاته العقلية والنفسية ما يجعلها تجارب إنسانية ناضجة مثل قصائد **نداء الباعة، ودار العمال، وشرطي المرور** وغيرها .

الواقع أن هذه الاتجاهات التي ذكرناها لا تشكل تصنيفاً محدداً لموضوعات الشعر لدى جماعة الديوان، إذ هي تنتمي إلى شيء مهم واحد وهو تيار الوجدان الفردي الذي تميز به شعرهم جميعاً ، **وهو الذي جعل معظم الدارسين يتفقون على أن جماعة الديوان قد امتلكت في اتجاهها الشعري و النقدي تخطيطاً دقيقاً ومنظماً متلونا بلون واحد يصطبغ به شعرهم ،وهذا اللون هو الذي يصدر عنه وجدان كل منهم ،إذ يجسد مشاعرهم الخاصة وقلقهم النفسي ونزعتهم إلى استكناه المجهول ومجال الطبيعة وفلسفة الحياة والموت وحركة الكون ونظامه ، والعجيب أن هذه الوحدة الفكرية التي اجتمع عليها شعراء الديوان يقابلها اختلاف في طبائعهم السيكولوجية ونموذجهم الإنساني فقد كان العقاد أصلبهم في مواجهة متاعب الحياة و كان شكري أضعفهم في ذلك في حين وقف المازني وسطاً بين الأثنين . <u>ومع هذا فإن نظرتهم إلى الشعر و تجديده والآراء التي تصدر عنهم في النقد وثورتهم فيه كانت وكأنها تصدر من رجل واحد لا من ثلاثة رجال على خلاف ما سنجده من فقدان هذه الوحدة لدى جماعة ابولو .**</u>

<u>مظاهر التجديد في الشكل والمضمون :</u> على أن هذا الشعر الذي أتفقنا على تسميته بـ (الوجداني الفردي) لم يقتصر فيه التجديد على **المضمون** حسب فقد شمل شكل **القصيدة و أسلوبها** . **<u>و مما يتصل بتجديد الشكل :</u>**

1 – تصرف الجماعة بالقافية فقد نظموا قصائدهم بالقوافي المنوعة وبالشعر المرسل الذي لا يتقيد بنظام معين في ترتيب قوافي القصيدة، ويعد شكري أسبق المصرين إلى ذلك .

2 – لم يقفوا عند حد التصرف بالقافية وإنما تعدوه إلى التصرف بالبحور والأوزان وربما هدفوا في ذلك إلى توسيع النطاق الموسيقي للبحور التقليدية، وهو توسيع لا يسيء إلى البحور ولا يتجافى مع سماع الأذن .

أما التجديد على صعيد المضمون فكان على النحو الآتي:

1 .أما في ***الأسلوب*** فقد نظموا قصائدهم على طريقة الأقصوصة الشعرية وساعدهم تأثرهم بالآداب الأوربية على فهم طبيعة الأقصوصة الشعرية فهماً جيداً بعد أن ساد الأقصوصة لدى لشعراء الاحياء والاعتدال التفكك و الفتور والتكلف .

2.إن أهم القضايا التي أعتمدها جماعة الديوان هي تلك ***التي تتصل بالفن الشعري وآفاقه*** وما يتصل به من عناصر الصدق و الخيال و الصورة و الوحدة العضوية والتشبيه .

3.ولعل ما عرف به الشعر هو ما جاء على لسان العقاد من أنه (التعبير الجميل عن الشعور الصادق) .

4.مسألة الصدق لدى جماعة الديوان تمثل مكان الصدارة في نقدهم والصدق الفني ينتهي بالشاعر إلى النفاذ إلى روح الموضوع و الإحاطة بأصوله و مقوماته .

5.ومن أهم القضايا التي أثارها جماعة الديوان في نقدهم ***قضية الوحدة العضوية*** فقد نادوا بوحدة البناء في القصيدة ،إذ ينبغي أن ينظر إليها على أنها شيء كامل وليس على أنها أبيات مستقلة، وذلك لأن قيمة البيت تتحقق بوصفه عضواً في جسم القصيدة الكلي **(و قد حرص عبدالرحمن شكري على أن تكون قصيدته بنية حية متماسكة، ويكتسب البيت جماله وشاعريته من وضعه في بناء القصيدة وجسمها الكلي حتى إذا اقتطعناه بدا مشوهاً مبتوراً، وكذلك كان المازني يحرص على الصورة حرصاً كبيراً في نثره و شعره)** . أما العقاد فكان أحرص من زميله في موقفه من الوحدة العضوية وقد فصل فيها القول تفصيلاً لا يدع مجالاً للتقصير على الاطلاق . **والوحدة العضوية عنده تتمثل في أن تكون القصيدة عملاً فنياً يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة فهي كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته .** ويرى أن السبب في انعدام الوحدة هو التفكك، لأن القصيدة ينبغي أن تكون عملاً فنياً تماماً. وأغلب الظن أن العقاد قد أفاد في نظريته إلى الوحدة العضوية من النقاد الرومانتيكيين وعلى الخصوص هازلت و كولردج .

6. ومما تعرض له جماعة الديوان في نقدهم **التصوير الشعري** فقد تحدثوا عن الخيال الشعري و أهميته ووظيفته في الشعر وقد توصل هؤلاء الشعراء إلى أن أساس التصوير في الشعر هو الادراك بالحس. ولكي تكون الصورة الشعرية جيدة لابد لها من **التشخيص** وهو ملكة خالصة تستمد قدرتها من الشعور حيناً ومن دقة الشعور حيناً أخر .

7. وقد أشاروا أيضاً إلى **عناصر الصورة الشعرية** ولاسيما اللون ،والشكل ،والمعنى ، والحركة ، والزمان ، والمكان ، ونوهوا بدور اللفظة داخل الصورة الشعرية .

8. كما بحثوا **علاقة الصورة بالرمز** ورأوا أن الشعر لا يستغني عن الوحي والاشارة ،وأن أبلغ الشعر ما يجمع الكثير في القليل، وهم في هذا يتفقون مع الرمزيين، ولكنهم وقفوا موقفاً وسطاً من غموض الصورة ووضوحها ، فشكري ينكر على الشعراء غموضهم في الصورة، والعقاد يذهب إلى أن الوضوح فيها يشل حركة الخيال، ويبطل

عمله ولكنه ينكر على الرمزيين إمعانهم في الغموض وقد أرجع جماعة الديوان الغموض والوضوح إلى أسباب منها: التراكيب ، وتداعي الخواطر، وتلاحق الصور، فضلا عن طبيعة الموضوع نفسه .

9. ومن المسائل التي انفرد بها **العقاد موقفه من الغرض الشعري و من الأغراض التقليدية بالذات** إذ إنه لم يرفض غرضاً بعينه إلا إذا انتفى منه الصدق . وفي ذلك لم يرفض العقاد **غرض المديح** إذا كان رائد صاحبه الصدق ،لأن شعر المديح في رأيه يعد من أفضل المقاييس لقياس حال الأمة والشاعر والأدب في وقت واحد **. و لذلك يخطئ من يظن أن الأمم المشرقية لا تمدح أو لا تقبل المدح من شعرائها، إذ المديح جائز في كل أمة و من كل شاعر ... (ناقشي)**

انما الخلاف في نوع المديح لا في موضوعه فمديح الأمم المتعلمة غير مديح الأمم الجاهلة والشاعر الذي يملك أمره يتبع مدحه أسلوباً غير الذي يتبعه شاعر مغلوب على أمره .

10. وفي نقدهم رفض جماعة الديوان **تقسيم الشعر على(شعرعاطفة و شعر عقل)**

11. وقد نادوا أيضاً **بالحرية في الفن،** إذ لا يشترط أن يلتزم الشاعر بمذهب فلسفي معين ينافح عنه ،لأن الشاعر يرى جانب الصواب من كل مذهب .

خلاصة: والحق أن جماعة الديوان هم أول جماعة وضعت تأصيلاً لمفهوم الوحدة العضوية ولشعرائها جميعاً فضل تثبيت مبادئها وأصولها وتحدثوا عنها في دواوينهم وكتبهم ومقالاتهم كما طبقوا مفهوماها في قصائدهم .كما نظرت جماعة الديوان إلى العمل الأدبي نظرة متكاملة فلم تقف في تحديدها أمام الشعر في شكله و مضمونه حسب و إنما جعلت من المفاهيم النقدية الناضجة التي نادت بها مقاييس يجب أن تنفذ إلى العملية الأدبية و الشعرية منها خاصة .

في النقد : مضى شعراء الديوان في مفاهيمهم النقدية يقتحمون دروب التجديد في حماس و جرأة ناعين على شعراء التيار المحافظ منهجهم التقليدي .وإن ما قدموه في ميدان النقد كان يفوق كل انتاج أدبي قدموه .فكانت العاطفة عندهم تقوم على صدق الإحساس وعمقه وارتفاع طبقة التفكير .فالصدق اساسها الذي يتميز بالعمق و من هنا كان الصدق العاطفي مسألة ضرورية في ميدان الشعر . وفي دراساتهم الأدبية سلكوا ثلاثة مناهج هي : المنهج النفسي ، والمنهج النفساني ، والمنهج العلمي

المناهج التي سلكها جماعة الديوان في دراساتهم الأدبية :

أولاً : المنهج النفسي : هو عبارة عن استخلاص صورة نفسية للشخصية الأدبية التي يُترجم لها ،وهو استخلاص يجلو خصائص الشخصية الأدبية النفسية والخلقية و اعتمد هذا المنهج دراسة العصر لبيان أثره في تكوين الشخصية الأدبية .وتجلى المنهج النفسي في دراسات العقاد بالدرجة الأولى ،إذ من خلال تطبيقه لهذا المنهج درس

عمر بن أبي ربيعة وكشف عن أثر البيئة في تكوين شخصيته ،وكذلك فعل في دراسته لابن الرومي .

ثانياً : المنهج النفساني :هو المنهج الذي يعتمد دراسة الشخصية الأدبية دراسة نفسية دون معرفة المؤثرات الخارجية إلا ما يكشف منها عن طبيعة تلك الشخصية ويعين على تفسيرها ،وقد استعمل العقاد هذا المنهج في دراسته لأبي نواس .

ثالثاً : المنهج العلمي : وهو المقصود بالعلم التجريبي المحض غير النظري كعلم الطب و علم الوراثة و غيرها .وفي ظل هذا المنهج درس العقاد (امرأ القيس) كما سلطه على ابن الرومي وغيره من الشعراء الذين ماتوا مسمومين .

تلك كانت بعض الخطوط العريضة للمفاهيم النقدية التي نادى بها جماعة الديوان وهي قليل من كثير لم يتسع له هذا المبحث .

شاعر الجماعة عبد الرحمن شكري(1886-1958)م.

ينحدر الشاعر من أسرة مغربية نزحت إلى مصر، والده من رجالات الثورة العرابية كان أديبا وضابطا ،تأثر الشاعر بأبيه كثيرا فنشأ معتدا بذاته نافرا من الآخرين فلا عن تأثره بالشعر الرومانتيكي الذي جعله ميالا للعزلة محبا لذاته ولاسيما أنه الابن الوحيد لأبيه بعد وفاة كل أخوته الذين يكبرونه.

التحق بمدرسة الحقوق وكان لذلك أثره في تعميق نزعته الوطنية مما أدى إلى فصله منها بسبب تحريضه على الثورة ،والتحق بمدرسة المعلمين العليا التي عززت ثقافته الأدبية والشعرية العربية، فضلا عن قراءة الشعر الإنكليزي ولاسيما شعر مدرسة البحيرات وتأثره بآرائهم النقدية بعد بعثته إلى إنكلترا لدراسة الأدب الإنكليزي، وبعد عودته إلى مصر عام 1912م التقى بالعقاد ،إذ كان المازني صديق شكري وواسطة هذا التعارف الذي انتج مدرسة الديوان فيما بعد.

تعمق عنصر الشكوى في شعر شكري لاعتبارات مثيرة منها: فساد الحكام، وظهور طبقة الإقطاعيين الذين عاثوا في الأرض فسادا وسيطروا على المناصب بنفوذهم ،وخلافه مع صديقه المازني، وفشله في الحصول على منصب إداري في وظيفته كل ذلك عزز من عزلته وشكواه.

له دواوين عديدة منها منها (أزهار الخريف عام 1919م)، وأغلبها تحمل طابع الحزن والقتامة فكانت دواوينه وقفا على النفس الإنسانية والحياة والذات وذكر الموت، والتغني بالطبيعة فكانت مواقفه تنم عن الحيرة والشك والتمرد والتشاؤم أيضا وكلها تندرج ضمن الاتجاه التأملي والنفسي، فضلا عن ظهور الاتجاه العاطفي ويندرج تحته كل قصائد الحب ، ومن شعره التأملي قوله من قصيدة إلى المجهول (حفظ):

كأن روحي عود أنت تحكمه فأبسط يديك واطلق من أغانيه

وأنت في الكون من قاص ومقترب قد استوى فيك قاصيه ودانيه

ويقول في قصيدة المجرم :(حفظ)

يرى الناس أن النوم أم رحيمة ولكن نوم الجارمين عقاب

أما عن **مستوى شعره** فقد نادى بالتجديد في الشعر العربي شكلا ومضمونا ،وهو أول من طبق ذلك في شعره ،وتميز أسلوبه بالمتانة والرصانة والفخامة مما يؤكد ثقافته اللغوية ،فكان تعامله مع اللغة تعاملا معجميا فلم يكن له ذلك الإحساس المرهف بموسيقى الكلمات وظلالها النفسية ،وشاع في شعره الصيغ المهجورة والمترادفات الميتة والكلمات العادية البعيدة عن الإيحاء لكنه من أوائل الشعراء المعاصرين الذين تنبهوا لوظيفة التشبيه أسوة بالعقاد ،فقد حقق شكري لبعض تشبيهاته نوعا من الرمز المعبر الشفاف كقوله: (حفظ)

رب لحن كأنه المنظر الغض يبث الآمال والأطوارا

فهذا البيت تحقيق لنظرية تراسل الحواس التي نادى بها الرمزيون فقد استعار في مجال المنظور صورة عبرت عن وقع اللحن الصوتي أجمل تعبير وأدقه ،وشعر شكري من الناحية الفنية قد سلك طريقين مختلفين :أحدهما يرتفع بصاحبه إلى مصاف الشعراء الرواد والمجددين ،والآخر يهبط إلى ما يسيء إليه بوصفه رائدا من رواد الحركة الشعرية الجديدة .

وفي مجال الأوزان والقوافي فقد حقق تنويعا ملحوظا، وذلك بفعل قراءاته للشعر الإنكليزي حينا وتأثره بالموشحات العربية حينا آخر ،ولاسيما في قصائده المنظمة على القوافي المتقابلة، أو الشعر المرسل، أو شعر المقطوعات ،أو الشعر المزدوج والمخمس الذي مهد فيما بعد لظهور الشعر الحر ،فضلا عما حققه في بناء القصيدة واعتماده على الفن القصصي متأثرا بالثقافة الشعرية الإنكليزية فكان إماما ومجددا في هذا الفن ومن ذلك **قصصه الشعرية (قصة كسرى والاسيرة)وقصة (نابليون والساحر المصري)وقصة(الملك الثائر)وقصة (النعمان ويوم بؤسه)وقصة (الشاعر وصورة الجمال).**فكلها تجسد مشاعره الذاتية ومواقفه الفكرية وتعكس ثقافته التاريخية وقدرته على البناء المبتكر.